Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجمع والاستقصاء ، وأبى عليه كبرهمه ان يحشد ما يوزن وما لايوزن فى معرض ، وأن يجمع الغالى والرخيص فى قرن . وما من شك فى ان فنون البديع متفاوتة أبعد تفاوت وأن منها ما يغلو ثمنه ويعز مطلبه ، ومنها ماهو دون ذلك على مسافات وأميال . والفارق بين ظاهر بين الاستعارة والتمثيل مثلا وبين العكس ورد الأعجاز على الصدور ، والإرصاد .

تلك وجّهة ، وهناك ثانية هى ان الشيخ لم يغفل ما أغفل لنزوله عن مستوى نظرته فى البلاغة فحسب ، بل كان إلى جانب ذلك اعتماده على ما كتب السابقون فيه ، فقد رآهم استقصوا ماترك ، ووفوه حقه من البحث والبيان . فلم ير حاجة إلى التكرار والإعادة .

ومع هذه وتلك ثالثة ، وإن ما ذكره الشيخ من ذلك فى كتابيه إنما كان وثيق الصلة بقضية اللفظ والمعنى ، فكان من الحتم ان يجره الحديث عن هذه القضية إلى الحديث عن هذه الأنواع ، وأن يبين الأمر فيها لاشتهارها وقوة اتصالها بتلك القضية . فقد وجد دعاة اللفظ يقولون : إن حسن الاستعارة والجناس واكثر فنون البديع ، راجع إلى اللفظ وحده ، وقد رأينا فيما سبق كيف زيف الشيخ هذا الزعم ، ورد اكثر الحسن فى الاستعارة التى مايعود عليها من جهة النظم ، وانه يهيىء لوقعها ، ويمهد للطفها وغرابتها[1] .

وكان القاضى وأبو هلال والآمدى ينظرون إلى البديع نظرا ادبيا خالصا ، يستحسنون منه ما وافق الطبع ، وحرك الأريحية ، ويزرون على المتكلف المجتلب ، فلم يبلغ بهم العمق إلى ان يقولوا : هذا حسن لفظى ، وذاك معنوى . فلما تبدلت الأمور ، وتغيرت البيئة ، واحترف الأدب كثير من ادعياء الأدب ، قامت فى رءوسهم أوهام ، وشاعت فى السنتهم نظريات ، وتعصب فريق للفظ ينحله الفضل كله ، واخر للمعنى يعطيه الشرف والمنقبة ، فاقتحم الشيخ عليهم الباب وامطرهم من قلمه بيانا عجبا ، وطارد الشبه انى جاءت ، وحارب الأوهام كيف كانت ، حتى نصر الحق ، وأقام الحجة ورفع المنار .

---

(١) ص٧٤ من الرسالة .